الطرح الإعلامي لجرائم فرنسا في الجزائر من خلال السينما الجزائرية
دراسة تحليلية لفيلم معركة الجزائر

د. نفيسة نايلي

تمهيد:

نفذت السلطات الاستعمارية الفرنسية المدنية والعسكرية، إبان الاحتلال عامة، والثورة التحريرية خاصة مخططا إجراميا لإبادة الشعب الجزائري، وعمدت إلى استخدام كل الإجراءات الممكنة والمتوفرة لديها، ولم يسلم من سياستها القمعية والعقابية أي أحد، حيث وسعتها لتشمل من دون تمييز المدنيين العزل من أطفال ونساء وشيوخ. وارتكبت فرنسا على إثرها العديد من المجازر الجماعية، وحالات التقتيل الفردي والعشوائي، وفي هذا الإطار استعانت القوات الفرنسية بعدة وسائل وقوانين عقابية تتعارض مع القوانين الدولية وحتى الفرنسية أطلقت عليها السلطات السياسية الاستعمارية اسم القوانين الخاصة " les"pouvoirs spécieux ".

وقد حاولت العديد من الوسائل الإعلامية على اختلاف أنواعها التعرض لتلك الجرائم سواء كانت جزائرية أو أجنبية محاولة بذلك كشف ولو القليل منما قامت به فرنسا على أرض الجزائر من قتل و تنكيل و تهجير...إلخ ، و لعل من أهم تلك الوسائل الإعلامية الجماهيرية نجد السينما الجزائرية التي عكفت أثناء الثورة و حتى بعدها بالتعرض إلى هذا الموضوع سواء بصورة مباشرة أو ضمنية سعيا منها في وضع فرنسا خاصة و العالم عامة أمام الواقع الذي عاشه الشعب الجزائري طيلة فترة تواجد الاستعمار الفرنسي الغاشم على أرض الجزائر.

ونظرا لتعدد الجرائم الفرنسية في الجزائر منذ دخولها سنة 1830 إلى غاية خروجها سنة 1962، و صعوبة حصرها في بحث من هذا النوع، فقد حاولنا أن نتطرق إلى جرائم فرنسا إبان الثورة التحريرية المجيدة انطلاقا من خلال تحليلنا لفيلم **معركة الجزائر** وهو عبارة عن أحداث واقعية جسدت في فيلم سنمائي من العيار الثقيل ليكشف بعض مما مارسه الاستعمار الفرنسي من ظلم و استبداد ضد الشعب الجزائري دون استثناء.

ومما سبق و لمعالجة هذا الموضوع ارتأينا طرح التساؤل العام التالي:

كيف طرح فيلم معركة الجزائر قضية جرائم فرنسا في الجزائر إبان الثورة التحريرية؟

وقد تفرع عنه مجموعة من التساؤلات هي:

- ماهي الصورة التي قدمها الفيلم عن جرائم فرنسا في الجزائر؟
- ماهي المؤثرات الصوتية والبصرية التي استخدمها مخرج الفيلم للتعبير عن جرائم فرنسا؟
- فيما تجسدت الدلالات و المعاني التي حملها الفيلم و التي عبرت عن الظلم و الاستبداد الممارس ضد الشعب الجزائري؟
- كيف قام المخرج بتوظيف أهم الرموز و الإيحاءات لكشف الجرائم الاستعمارية ضد الشعب الجزائري؟

بطاقة فنية عن فيلم معركة الجزائر:

إنتاج: قصبة فيلم و إيغو فيلم

السنة: 1966

الاطار: 1.66

النسخة: أبيض و أسود

المدة: 151 دقيقة

الممثلون: ياسف سعدي، ابراهيم حجاج، سي محمد بغدادي، فاطمة بوريحية، سامية مارتن.

الكومبارس: سكان القصبة

سيناريو: ياسف سعدي

إخراج: جيليو بنتكورفو

مقدمة عن الفيلم:

عالج فيلم معركة الجزائر بطولة سكان القصبة ووقوفه إلى جانب قادة جبهة التحرير الوطني وقد رسم المخرج من خلال هذا الفيلم إلتفاف الشعب الجزائري بكل فئاته حول جبهة التحرير الوطني واحتضانه للثورة، ليس في العاصمة فحسب بل في كافة القطر الجزائري، وركز على رفض الشعب للاستعمار باجتياحه شوارع العاصمة دون تردد أوخوف من دبابات الاحتلال، كما أظهر الفيلم أن المساعدة التي قدمها سكان القصبة للمجاهدين تعكس رغبتهم الشديدة للحرية ومدى وعيهم بقضية بلادهم.

و تناول الفيلم شخصيات حقيقية لعبت دورا أساسيا في معركة الجزائر نذكر منها، علي لابوانت، حسيبة بن بوعلي، العربي بن مهيدي، ياسف سعدي والطفل عمار ياسف ، مما أضفى طابع الواقعية على انجاز بونتكورفو الذي حقق نجاحا كبيرا لحصوله على عدة جوائز دولية و عربية منها الأسد الذهبي في مهرجان البندقية عام 1966 و الجائزة الكبرى للنقد الدولي في نفس السنة.

ووصف الفيلم المجاهدين والفدائيين بالبسالة و الشجاعة واستدل المخرج في ذلك بالعمليات الفدائية التي قام بها المجاهدين و المجاهدات، بالاضافة إلى شجاعة سكان القصبة الذين ساندوا الفدائيين.

و بالمقابل صور الفيلم الأساليب الوحشية و اللاانسانية التي اتخذتها فرنسا للقضاء على الثورة التحريرية.

الصورة التي قدمها الفيلم عن جرائم فرنسا في الجزائر إبان حرب التحرير :

يجسد فيلم معركة الجزائر قصة واقعية من تأليف المجاهد ياسف سعدي الذي عايش واقعيا الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال فترة ما يسمى بمعركة الجزائر، و كان أحد المسؤولين في جبهة التحرير الوطني.

وقد أعاد هذا الفيلم بناء الوقائع لتي جرت في العاصمة و تحديدا في حي القصبة إبان حرب التحرير المضفرة التي قادها الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير الوطني ضد الاحتلال الفرنسي.ويروي الفيلم بصفة خاصة الهجومات التي كان يقوم بها الفدائيين في العاصمة ضد القوات الاستعمارية ما جعل الاستعمار الفرنسي جيشا و معمرين يقومون بأعمال وحشية ضد الشعب الجزائري.

وقد قسم الفيلم إلى ثلاثة محاور تمثلت فيمايلي:

إلقاء القبض على العربي بن مهيدي، استشهاد علي لابوانت وحسيبة بن بوعلي و الطفل عمار ياسف، حصار القصبة، اضراب الثمانية أيام، الانفجارات التي قام بها الفدائيون في العاصمة و أساليب التعذيب التي اتبعتها فرنسا في تلك الفترة لاستنطاق المجاهدين.

ومن خلال هذه المحاور فإننا نلمس حجم الجرائم الفرنسية مقارنة بكفاح الجزائري، حيث تجسدت جرائم القوات الفرنسية في: تفجير مخبأ علي لابوانت و زملائه منهم الطفل عمار، حصار القصبة، التفجيرات التي نفذها أحد محقق الشرطة في حي القصبة ليلا ضد السكان العزل، بالاضافة إلى التأثير النفسي من خلال زرع الرعب والاستهزاء بالجزائريين، واستخدام العنف في التنكيل بالجزائريين في الحواجز الأمنية وكذا استخدام العنف في اخراج السكان من منازلهم وعدم مراعاة الأطفال والنساء، بالاضافة إلى زرع الأسلاك الشائكة حول حي القصبة و جلب أكبر عدد ممكن من الجنود الفرنسيين.

و **تندرج دراستنا ضمن البحوث التي تعتمد على تقنية التحليل السيميولوجي،** بحيث يلجأ العديد من الباحثين في تحليلهم للمواد الإعلامية سواء السمعية و البصرية، السينمائية والمسرحية وحتى المكتوبة مثل الصحف والروايات والمجلات...إلخ، إلى تقنية تحليل المضمون التي تقوم أساسا على تقسيم وتفكيك المادة الإعلامية إلى وحدات دنيا من أجل الوصول إلى الهدف الذي ترمي إليه هذه الوسيلة الإعلامية أو جهة معينة من خلال هذه المادة الإعلامية.

غير أنّ العديد من الباحثين في مجال الاتصال بصفة خاصة أدركوا بأن هذه التقنية أصبحت – مع تطور الأبحاث والدراسات– لا تحقق الكثير من الأهداف المرجوة والنتائج الكاملة، فتوجه العديد منهم إلى تطبيق تقنية أكثر دقة و ذات نتائج كافية إلى حد كبير عن طريق ما يسمى بـ " **تحليل السيميولوجي**" الذي يرتكز على تحليل العناصر الموكونة للرسالة الاعلامية مهما كان نوعها، إن على المستوى الظاهر أو على المستوى

الكامن، بواسطة تفكيكها إلى وحدات دنيا وإعادة تشكيلها حسب الواقع الذي نسجت فيه للوصول إلى تفسير دقيق لطبيعة تلك الرسالة [1].

وبما أنّ دراستنا هذه تقوم على أساس معرفة الطرح الإعلامي لجرائم فرنسا في الجزائر فإنه لمن الضروري اللّجوء إلى هذه الطريقة في تحليل هذا الفيلم عن طريق استخدام **التحليل السيميولوجي** الذي يعتمد على مفهوم كل من **النسق، الآنية والدليل(Synchroni , Système, signe)**.

ويوضح ذلك الباحث **louis Hjemslev** أهمية التحليل السيمولوجي بقوله: " **هو مجموعة الأساليب أو التقنيات والخطوات التي يستخدمها الباحث لوصل وتحليل شيء ما ذو دلالة في حد ذاته عن طريق إقامة علاقات مع أطراف أخرى من جهة ثانية**"[2].

ويمثّل التحليل السيمولوجي بالنسبة لـ **رولان بارث**، شكل من أشكال البحث الدقيق في المستويات العميقة للرسائل الأيقونية أين يلتزم الباحث بالحياة تجاه الرسالة من ناحية ويسعى إلى التكامل من خلال التطرق الى الجوانب الأخرى كالجوانب السيكولوجية، الثقافية الاجتماعية وغيرها من تلك التي يمكن أن تدعم التحليل بشكل أو بآخر"[3]. أما الباحثون في حقل السيميولوجيا فيرون" أنّ التحليل السيميولوجي يسعى للوصول للدلالة الحقيقية وأنّ كل من المدلولات والدوال هي نتائج ثقافة ما"[4]. والتحليل السيمولوجي كذلك هو وسيلة للكشف عن المعنى العميق للدراسات وذاتها الحقيقية، كما يعمل على إظهار نوايا مصممي" مرسلي" تلك الرسالة [5].

و ربما كانت هذه الدراسة تهدف إلى تحليل الصورة التي قدمها الفيلم عن جرائم فرنسا في الجزائر أثناء حرب التحرير من خلال فيلم معركة الجزائر.

نموذج عن الجدول الخاص بمرحلة التقطيع التعييني(لألان رنيه)Allain Renih [6]

رقم المقطع									
شريط الصورة								شريط الصوت	
رقم اللقطة	مدة اللقطة	زاوية التصوير	حركة الكاميرا	نوع اللقطة	مضمون اللقطة	الديكور	الحوار	الموسيقى	الصوت والضجيج
ترتيبها في	مدة اللقط	نوع زاوية	كاميرا ثابتة	الوصف	الشخصيات الموجودة	الأشياء التي تحيط	الخطاب الموجه أو	الموسيقى	الأصوات

كل مشهد	ة	التصو يرفي اللقطة	أو متحركة (نوع الحركة)	الخا ص باللقطة	في اللقطة وما يرافقها من أحداث	بالشخصيا ت في منظر داخلي أو خارجي بالإضافة إلى الإضاءة المعتمدة	الذي يدور بين شخصيتين أو أكثر بالإضافة إلى التعليق و المنولوج	التصو يرية المرافقة والموظ فة في جنريك البداية و النهاية أو الأغاذ ي.	الطبيعية و الاصط ناعية، أصوات البشرية أو الحيوانية ...إلخ

<u>التحليل التعييني لأهم المقاطع المجسدة لجرائم فرنسا في الفيلم:</u>

المقطع الأول:

في بداية الفيلم نرى مجاهد جزائري شاحب اللون هزيل جدا يبدو عليه الخوف و الرعب بعد استسلامه أمام التعذيب الوحشي الذي لاقاه من قبل الجنود الفرنسيين حيث يخبرهم عن مكان تواجد علي لابوانت و زملائه، مباشرة بعد ذلك تنقلنا الكاميرا إلى مشهد آخر يظهر من خلاله علي لابوانت و زملائه داخل المخبأ في حي القصبة وهم محاصرين من قبل جنود الاحتلال الفرنسي في هذه اللحظة يبدأ علي لابوانت في استرجاع ذكريات سنواته الأخيرة التي انظم من خلالها إلى جبهة لبتحرير الوطني ويظهر لنا المقطع الأول من الفيلم الفترة الأولى من الثورة من سنة 1954 إلى سنة 1957 وهي السنة التي استشهد فيها علي لابوانت مع حسيبة بن بوعلي والطفل عمار، وقد عبر المخرج عن ذلك بعودة الكاميرا الى شوارع العاصمة عام 1954 وبالضبط الى حي القصبة.

المقطع الثاني:

يحاول الفيلم من خلال هذا المقطع عرض مرحلة من مراحل الفترة الممتدة من 1954إلى 1957،حيث صور أنه في أفريل 1956 تشرع جبهة التحرير الوطني في فرض سياستها على المواطنين بإعلانها منع التدخين وتعاطي الخمور، وهذا دليل على البعد الديني وقد عبر عن ذلك مشهد السكير الذي التف حوله الأطفال وانهالوا عليه ضربا حتى الموت وقد كان ذلك استجابة المواطنين لقرار الجبهة و إلتفافهم حولها.

كما يبرز الفيلم في هذا المقطع انطلاق العمل الفدائي بالعاصمة حيث بين المخرج العديد من الأعمال الفدائية التي نفذتها جبهة التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، مما دفع بقوات الاحتلال بتشديد الحراسة على أحياء

العاصمة و غلق العديد من الشوارع التي يقطنها الجزائريون، كما اتخذت القوات الاستعمارية عدة تدابير تعسفية من بينها حضر بيع الأدوية و اللوازم الخاصة بالجروح والاصابات.

المقطع الثاني:

ينتقل بنا المخرج في هذا المقطع من الفيلم إلى اظهار سياسة فرنسا الوحشية من أجل قمعها والقضاء على العمل الفدائي لجبعة التحرير الوطني يبين لنا المخرج وصول القائد فيليب ماتيو سنة 1957م الذي نصبته حكومة الاستعمار الفرنسي للقضاء على الثورة وهذا ما يظهرة ترحيب المعمرين باستقدام هذا الرجل وقواته وقد كان ذلك رغبة منهم في انتصار فرنسا و بقائها في الجزائر لضمان مصالحهم.

ويأتي هذا الإجراء حسب ما صوره الفيلم بعد النجاح الذي حققته الثورة لغاية هذه الفترة وانظمام المرأة الجزائرية للعمل الفدائي جنب الرجل من خلال اتباع استراتيجية محكمة تمثلت في تغيير النساء اللواتي ظهرن في الفيلم لمضهرهن كي لا يميزهن العساكر الفرنسيين عن غيرهن من نساء المعمرين، وهو ما يظهره حديث احداهن مع الجنود الفرنسيين وهم يقومون بتفتيش الجزائريين ومنعهم من اجتياز الحاجز.

المقطع الثالث:

في هذا المقطع يروي الفيلم وقائع اضراب الثمانية أيام الذي قام به الجزائريون احتجاجا على المعاملة التعسفية للاستعمار ومطالبته من الانسحاب من أرضه، وكأحد مظاهر العنف و الاجرام يظهر لنا الفيلم الاجراءات التعسفية المتمثلة في اجبار الشعب الجزائري من إلغاء الاضراب ومباشرة العمل عن طريق فتح المحلات والدكاكين واعتقال الأشخاص بطريقة عشوائية.

وما كان ذلك سوى دليل على تخوف فرنسا من توسع صدى الثورة لتشمل كل القطر الجزائري، مما جعلها تحاول تحريض السكان ضد جبهة التحرير الوطني، محاولة منها القضاء على الثورة في أوج اشتعالها.

المقطع الرابع:

تم القاء القبض على العربي بن مهيدي حيث أظهره المخرج في إحدى اللقطات و هو يجيب على أسئلة الصحفيين، كما بين لنا الفيلم إلقاء القبض على جعفر و إحدى المجاهدات وفي الأخير يظهر لنا علي لابوانت في مخبئه بحي القصبة رفقة حسيبة بن بوعلي و الطفل عمار ياسف في لحظاتهم الأخيرة بعدما رفضوا الاستسلام لقوات الاستعمار حيث بقي القائد الفرنسي لمدة طويلة يطلب من علي لابوانت الاستسلام و يحذره من تفجير المكان. ويتم بعدها تفجير المخبأ وتتعالى زغاريد النسوة و تكبيرات الرجال.

نهاية الفيلم:

حاول مخرج أن يصنع لفيلمه نهاية مفتوحة ليست من نسج خياله ولكنها نقلت واقعا عاشه الشعب الجزائري سنة 1957 عندما أدرك أن الحرية أصبحت مطلبا ملحا و ضروريا لا يعتمد إلا على القوة لأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

وبلقطات متنوعة تظهر لنا نهاية الفيلم المظاهرات التي نظمها الشعب الجزائري في حي القصبة و التي توسعت لتشمل كل شوارع و أحياء العاصمة، وتنطلق المواجهات المباشرة بين الشعب و قوات الاستعمار ومع عدم تمكن القوات الاستعمارية من السيطرة على الوضع تباشر في اطلاق الرصاص الحي بطريقة عشوائية حيث يظهر لنا الفيلم سقوط العديد من القتلى والجرحى من مختلف الفئات حتى من النساء و الأطفال.

التحليل التضميني للمقاطع المختارة:

المقطع الأول:

عبر المخرج مباشرة عند بداية الفيلم على جرم ووحشية الاستعمار الفرنسي من خلال اظهار مجاهد بشكله الضعيف و الهزيل و الخوف باد على وجهه وهو يرتعش من شدة الخوف و الألم، وقد كان ذلك تعبيرا ضمنيا ودلالة سيميولوجية على أحد جرائم فرنسا و هو التعذيب و التنكيل الذي كانت تمارسه ضد الشعب الجزائري خاصة أولئك الذين لهم علاقة مباشرة مع جبهة التحرير الوطني، و بالاضافة إلى تعبير الفيلم عن أساليب التعذيب الجسدية الوحشية التي جعلت هذا المجاهد يستسلم بعد نفاذ صبره على تحمل الألم، فقد عبر من جهة أخرى على التعذيب النفسي و هو اجباره على الاعتراف و تجريده من ملابسه و ارغامه على ارتداء الزي العسكري الفرنسي، بل أكثر من ذلك فقد سيق أمامهم إلى مكان إختباء علي لابوانت حتى تجرده من كل قيمه ومبادئه أمام اخوانه الجزائريين و تشويه صمعته وتظهره بصورة الخائن الذي لا يمكنه التضحية من أجل إخوانه المجاهدين أو من أجل وطنه.

وفي ذلك تعبير المخرج على الرسالة التي أرادت فرنسا نقلها لسكان القصبة الذين التفوا حول الجبهة و تخويفهم بأشد أساليب التعذيب من خلال اصطحاب ذلك المجاهد الذي أصبح بصورة شبح من أثر التعذيب.

بالاضافة إلى وصف الحالة النفسية للبطل علي لابوانت مع رفاقه خاصة من خلال احتضانه للطفل عمار وبجانبه حسيبة بن بوعلي فموت امرأة و طفل صغير معه بهذه الطريقة الوحشية دلالة قاطعة على بشاعة السياسة الاستعمارية المنتهجة للقضاء على الثورة، حيث لم يكن يعنيها موت الأطفال و النساء ولا الطرق التي يقتلون بها بقدر اهتمامها بالبقاء على أرض الجزائر و اخماد نار الثورة التحريرية.

كما كان في لحظات استرجاع علي لابوانت لذكريات بداية عمله الثوري دليل مدى الحرمان و الألم و المعاناة التي عاشها في طفولته وهو يرى الظلم الذي ألم ببني جلدته من قبل المستعمر الغاشم وسياسته الإجرامية، سيما تلك الصورة التي نقلت تنفيذ حكم الإعدام على أحد المجاهدين الذين كانوا رفقته في السجن، حيث يصور لنا المخرج المجاهد وهو يساق إلى المقصلة بالقوة وفي ذلك دلالة واضحة على العنف والتعذيب الذي كان يمارس على الجزائريين.

المقطع الثاني:

من خلال وصول القائد فيليب ماتيو إلى العاصمة يريد المخرج أن يظهر لنا صورة أخرى من صور الوحشية والقمع الذي اتخذته فرنسا ولكن هذه المرة بأكثر حدة خاصة و أن فيليب ماتيو معروف بأساليبه الشديدة في التعذيب و التنكيل، وممارسة شتى أنواع القمع من أجل القضاء على الثورة و هذا كان هدف الحكومة الفرنسية من ارساله إلى العاصمة بعد نجاح الثورة التي شملتها مختلف العمليات الفدائية التي كان يقوم بها أفراد جبهة التحرير الوطني .

وقد كان في هذا الإجراء الذي اتخذته الحكومة الفرنسية زيادة الخوف و الضغط النفسي على الجزائريين بصفة عامة و قادة جبهة التحرير الوطني بصفة خاصة، وذلك كي تقنع الجزائريين بفشل الثورة وتدفهم للانسلاخ عنها و عن تدعيم جبهة التحرير الوطني و بالتالي تحقق خطتها في القضاء على قادة الثورة.

ومن أبشع الصور تلك الماثلة في تسلل قائد الشرطة إلى حي القصبة ليلا وزرع إحدى القنابل انتقاما للضحايا المعمرين الذين استهدفتهم التفجيرات التي خططت لها جبهة التحرير الوطني وتمت بنجاح، وقد خلف تفجير القصبة العديد من الضحايا و الشهداء، لكن ظهرت صورة أخرى تجسد التضامن و التآزر بين سكان القصبة كرسالة لفرنسا بأن السياسة التعسفية المنتهجة من قبلها لا تنقص من عزيمة الجزائريين و التفافهم حول الثورة.

المقطع الثالث:

لقد تجسدت مظاهر العنف و الحرمان من خلال هذا المقطع وبأكبر حدة حيث اتجهت السلطات الاستعمارية إلى فرض سيطرتها على الشعب وخاصة سكان القصبة والأحياء التي يقطن بها الجزائريين في العاصمة، وقد أراد المخرج من خلال هذا ابراز التعامل الوحشي و اللاإنساني للعساكر الفرنسيين، وقد دقق المخرج في إحدى المشاهد لابراز هذا الجانب من الوحشية وهو صورة أحد السكان وهو يفتش من قبل أحد العساكر وإذا به يكتشف أنه نسي أوراق هويته في البيت فأخذ يترجى الجندي أن يسمح له بالعودة للمنزل بغرض إحضارها، لكن الجندي رفض و أصر على نقله للسجن مع بقية المشكوك في أمرهم، ومن جانب معاكس نرى تعامل الجنود مع المعمرين بشكل مختلف وهو ما ظهر مع الجزائرية التي أوهمتهم من خلال مظهرها بأنها فرنسية، حيث أخذوا يتحدثون معها بشكل محترم وهم يفسحون لها الطريق، كما نجد صورة أخرى تعبر عن النية الخبيثة للجنرال ماتيو وذلك من خلال اجتماعه مع الجنود وهو يحثهم بشدة على تزويد التفتيش الدقيق حتى بالنسبة للنساء اللواتي يمكن أن يحملن تحت عباءاتهن سلاح أو أي وثائق تخص الثورة، بالاضافة إلى تحريضهم على الرجال المسنين من خلال عرضه لصورة شيخ يحمل طاولة تنظيف الأحذية فقام الجنود ببعثرة ما فيها ما أثار سخرية واستهزاء الجنود المجتمعين مع الجنرال ماثيو.

المقطع الرابع:

يصور لنا المخرج في هذا المقطع من الفيلم النتيجة النهائية للعنف و السياسة الإجرامية التي تجسدت في التعذيب و الترهيب و مختلف الخطط الجديدة التي جاء بها الجنيرال ماتيو أهمها اجبار المجاهدين المقبوض عليهم من شدة التعذيب الوحشي وهو ما حدث مع المجاهد الذي ظهر في أول الفيلم و في هذا المقطع كذلك.

ويدل المشهد الذي ألقي فيه القبض على المجاهد جعفر أحد قادة جبهة التحرير رفقة امرأة دليل اطع على نجاح سياسة ماثيو وقد عبر المخرج عن توتر المجاهدة التي كانت رفقة جعفر و خوفها الشديد وهو دليل على تيقن المجاهدة مما ينتظرها هناك من تعذيب و تنكيل والذي ستتعرض له لا محالة كي تعترف بأسرار عملها إلى جنب قيادة جبهة التحرير الوطني.

وقد عبرت صورة اختباء علي لابوانت رفقة حسيبة بن بوعلي والطفل عمار ياسف على الظلم و الحرمان الذي عاشه الجزائريين عامة و المجاهدين خاصة حيث عبر المخرج بنظرات علي القاطعة، التي على قدر ما هي جريئة وقاسية بقدر ما حملت خلفها حزن عميق ممزوج بالشفقة على الطفل و حسيبة و الحسرة على بلده التي سيتركها في قبضة العدو ويرحل إلى الأبد، وفي خضم كل هذه المعاني عبرت ضمته لعمار ياسف على أمله في أن ينعم وطنه بالحرية فرغم وجوده في لحظاته الأخيرة داخل المخبأ إلا أن هناك العديد من الثوار

والمجاهدين المتواجدين خارجا و الذين سيكملون المشوار و ينتصرون لا محالة، لأنهم واثقون من نصرهم ويحملون قلوبا من حديد لا يخشون الموت في سبيل الله و الوطن أبدا.

نهاية الفيلم:

كانت نهاية الفيلم عبارة عن فكرة عامة أراد المخرج من خلالها أن يصور اشتباك الشعب الجزائري في العاصمة مع قوات جيش الاحتلال الفرنسي،والتي عبر من خلالها الرغبة الكبيرة للشعب الجزائري في الحصول على الاستقلال بشتى الأثمان مستدلا بعدد القتلى الجزائريين الذين كانوا يسقطون برصاص الاحتلال ورغم ذلك تواصلت المظاهرات، وقد صور المخرج وحشية المستعمر الذي كان يطلق النار بعشوائية دون تفرقة بين صغير أو كبير، امرأة أو رجل.

وقد صور لنا المخرج انطلاقة الانتفاضة الشعبية و اعلانها التفافها حول الثورة كوعي الشعب الجزائري بأن الثورة و السلاح هما الحل لاسترجاع السيادة الوطنية.

و بأن استشهاد علي لابوانت رفقة حسيبة بن بوعلي و الطفل عمار ياسف كان انتهاء لمعركة الجزائر ولكنه بداية انتشار الثورة في كل أنحاء القطر الجزائري.

خصائص الفيلم من حيث البنى الاستدلالية:

لقد طرح الفيلم جرائم فرنسا من خلال الممارسات التعسفية ومختلف سياسات التعذيب و الترهيب التي اتخذتها فرنسا لابعاد الشعب عن الثورة و القضاء على قادة وجيش جبهة التحرير الوطني ويمكننا من خلال المقاطع التي قمنا بتحليلها إلى اكتشاف البنى الاستدلالية التي صنعت الفيلم ويمكننا التعبير عن ذلك من خلال الخصائص التالية:

كلام/ صمت

لم يركز المخرج كثيراً على الحوار، ولكنه اعتمد الصمت فاسحاً المجال لتعبير الصورة، من خلال إتقان الديكور وملابس الشخصيات...إلخ، وقد إهتم المخرج بحديث كل من جعفر القائد في الجبهة و جماعته مثل حواره مع علي لابوانت، كما لم يظهر بطل الفيلم علي لابوانت في وضعية الحديث أو النقاش، وحتى الفتيات اللواتي نفذن عمليات التفجيرات وذلك حتى يترك المجال لتعبير الصورة التي وصفت مكان معين وهو حي القصبة في العاصمة وكذا الزمان وهي فترة معينة من فترات الثورة التحريرية.

ويمكن استنتاج الدلالة السيميولوجية في الطرح الإعلامي لهذا الفيلم لقضية جرائم فرنسا عن طريق الصمت الرهيب أو المخيف الذي كان يخيم على الشخصيات سواء أبطال الفيلم أو السكان وهو ما عبر عنه صمت المجاهدة التي ألقي عليها القبض رفقة جعفر وهو دلالة سيميولوجية على خوفها العميق مما ينتظرها من تعذيب شديد بغية استنطاقها، كذلك صمت المرأة التي قامت باخفاء علي لابوانت و زملائه ونفس الصورة فيما يخص الصمت الرهيب الذي ساد داخل المخبأ وعبر عن قلق علي لابوانت على زميلته حسيبة و الطفل عمار.

أما عنصر الكلام فعبر به المخرج عن ثقة رجال جبهة التحرير الوطني في أنفسهم من خلال حديثهم مع قوات الاستعمار مثل حديث جعفر مع مفتش الشرطة.

ضوء/ ظل:

لقد تم تصوير أغلبية المشاهد ليلاً، للدلالة على الغموض والحيرة والضياع الذي يكتنف حياة سكان القصبة والخوف مما يخفيه المستقبل، وحتى المشاهد التي صورت في مناظر داخلية نهارا اعتمد فيها المخرج على تقنية الظل ليصف الحالة النفسية للمجاهدين وهم يحضرون القنابل و يخططون لعملياتهم، كما عمد المخرج إلى التعبير عن الحزن و الألم الذي خيم على علي لابوانت و زملائه في المخبأ.

موسيقى/ ضجيج:

إن معظم الموسيقى المستخدمة في الفيلم، موسيقى حزينة من جهة تدل على الحزن و الخوف و الألم والحرمان، و من جهة أخرى موسيقى حماسية تدل الإقدام ومواجهة العدو للدفاع عن الوطن.

وقد وظف المخرج الموسيقى الحزينة كذلك وقت تنفيذ حكم الإعدام على أحد الجزائريين، لتدل على الحزن الشديد الذي خيم على المسجونين لتظهر صورة علي لابوانت التي عبرت عن الحقد و الغضب الذي سيجعل منه أكبر فدائي حير القوات العسكرية و السياسية الفرنسية.

7- القيم المستخرجة من الفيلم:

1- القيمة الإنسانية:

-تجسدت في مساعدة سكان القصبة للفدائيين وحمايتهم وتوفير لهم أسباب الراحة حتى يتمكنوا من التخطيط الجيد لعملياتهم، ومن جهة أخرى تظهر القيمة الانسانية في معاملة الفدائيين المحترمة للفدائيات اللواتي تعملن معهم.

- انعدام القيم الانسانية لدى المستعمر من خلال الأعمال الوحشية التي يقوم بها ضد الجزائريين واستخدام مختلف ألوان التعذيب و التنكيل و الاهانة ضد الجزائريين دون التفريق بين أعمارهم أو جنسهم.

2- **القيمة الاجتماعية و الثقافية:** حمل الفيلم العديد من القيّم الاجتماعية نذكر منها ما يلي:

- مراسيم الزفاف التي نقلت لنا زواج شاب و شابة من القصبة بحضور شخص من جبهة التحرير الوطني قام بعقد القران بينهما في أجواء خيم عليها الصمت بحيث لم تكن هناك زغاريد أو أنغام لأن ذلك لم يكن ممكنا في ظل الحرب و الجزائريون يموتون بشتى الأساليب الوحشية الاستعمار.

- اللباس التقليدي للمرأة الجزائرية -الحايك- الذي يرمز للطهارة و العفة و الأصالة.

- الأسواق الشعبية الجزائرية المنتشرة على الأرصفة والتي مازالت قائمة إلى يومنا هذا كظاهرة اجتماعية تعبر عن طبيعة المجتمع الجزائري و نمط عيشه في المدن.

- التآزر و التلاحم بين الشعب الجزائري في أصعب المحن و الدليل خروجهم إلى الشارع في مظاهرات من القصبة احتجاجا على التواجد الاستعماري ثم توسع المظاهرات لتشمل كل العاصمة بشوارعها و أحيائها.

الاستنتاجات:

1- عبر المخرج مباشرة عند بداية الفيلم على جرم ووحشية الاستعمار الفرنسي من خلال اظهار مجاهد بشكله الضعيف و الهزيل و الخوف باد على وجهه وهو يرتعش من شدة الخوف و الألم، وقد كان ذلك تعبيرا ضمنيا و دلالة سيميولوجية على أحد جرائم فرنسا و هو التعذيب و التنكيل الذي كانت تمارسه ضد الشعب الجزائري خاصة أولئك الذين لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع جبهة التحرير الوطنيذ

2- وصف المخرج جرائم فرنسا في الجزائر أثناء الحرب التحريية من خلال التعريف بأساليب التعذيب الجسدية الوحشية التي جعلت هذا المجاهد يستسلم بعد نفاذ صبره على تحمل الألم، فقد عبر من جهة أخرى على التعذيب النفسي و هو اجباره على الاعتراف و تجريده من ملابسه و ارغامه على ارتداء الزي العسكري الفرنسي.

3- نقل الفيلم النوايا الخبيثة لفرنسا التي حاولت بشتى الطرق لابعاد سكان القصبة الذين التفوا حول الجبهة و تخويفهم بأشد أساليب التعذيب من خلال اصطحاب ذلك المجاهد الذي أصبح بصورة شبح من أثر التعذيب.

4- وصف المخرج من خلال فيلم معركة الجزائر مدى الحرمان و الألم و المعاناة التي عاشها علي لابوانت في طفولته وهو يرى الظلم الذي ألم ببني جلدته من قبل المستعمر الغاشم وسياسته الإجرامية سيما تلك الصورة التي نقلت تنفيذ حكم الإعدام على أحد المجاهدين الذين كانوا رفقته في السجن، حيث يصور لنا المخرج المجاهد وهو يساق إلى المقصلة بالقوة وفي ذلك دلالة واضحة على العنف والتعذيب الذي كان يمارس على الجزائريين، وهي احدى الصور التي عبرت على أحد أكبر الجلرائم التي نفذتها فرنسا في حق الشعب الجزائري كأبشع طرق التعذيب و الإعدام.

5- أظهر لنا مخرج الفيلم صور أخرى من الوحشية و القمع الذي اتخذته فرنسا للقضاء على الثورة والمجاهدين، من خلال وصول القائد فيليب ماتيو إلى العاصمة ولكن هذه المرة بأكثر حدة خاصة و أن فيليب ماتيو معروف بأساليبه الشديدة في التعذيب و التنكيل، وممارسة شتى أنواع القمع من أجل القضاء على الثورة و هذا كان

هدف الحكومة الفرنسية من ارساله إلى العاصمة بعد نجاح الثورة التي شملتها مختلف العمليات الفدائية التي كان يقوم بها أفراد جبهة التحرير الوطني .

6- اعتماد الحكومة الفرنسية سياسة الحصار و تشديد التفتيش و توسيع عمليات الاعتقال الواسعة في حق الشعب الجزائري بغرض زيادة الخوف و الضغط النفسي على الجزائريين بصفة عامة و قادة جبهة التحرير الوطني بصفة خاصة، حتى تقنع الجزائريين بفشل الثورة وتدفعهم للانسلاخ عن تدعيم جبهة التحرير الوطني و بالتالي تحقق خطتها في القضاء على قادة الثورة ومنه الثورة ككل.

7- ومن أبشع الصور تلك المتمثلة في تسلل قائد الشرطة إلى حي القصبة ليلا وزرع إحدى القنابل انتقاما للضحايا المعمرين الذين استهدفتهم التفجيرات التي خططت لها جبهة التحرير الوطني وتمت بنجاح، وقد خلف تفجير القصبة العديد من الضحايا و الشهداء، لكن ظهرت صورة أخرى تجسد التضامن والتآزر بين سكان القصبة كرسالة لفرنسا بأن السياسة التعسفية المنتهجة من قبلها لا تنقص من عزيمة الجزائريين و التفافهم حول الثورة.

8- تجسدت مظاهر العنف و الحرمان وبأكبر حدة في اتجاه السلطات الاستعمارية إلى فرض سيطرتها على الشعب وخاصة سكان القصبة والأحياء التي يقطن بها الجزائريةن في العاصمة، وقد أراد المخرج من خلال هذا ابراز التعامل الوحشي و اللاإنساني للعساكر الفرنسيين، وقد دقق المخرج في إحدى المشاهد لابراز هذا الجانب من الوحشية وهو صورة أحد السكان وهو يفتش من قبل أحد العساكر وإذا به يكتشف أنه نسي أوراق هويته في البيت فأخذ يترجى الجندي أن يسمح له بالعودة للمنزل بغرض إحضارها لكن الجندي رفض و أصر على نقله للسجن مع بقية المشكوك في أمرهم، ومن جانب معاكس نرى تعامل الجنود مع المعمرين بشكل مختلف وهو ما ظهر مع الجزائرية التي أوهمتهم من خلال مظهرها بأنها فرنسية، حيث أخذوا يتحدثون معها بشكل محترم وهم يفسحون لها الطريق.

9- كما نجد صورة أخرى تعبر عن النية الخبيثة للجنرال ماتيو وذلك من خلال اجتماعه مع الجنود وهو يحثهم بشدة على تزويد التفتيش الدقيق حتى بالنسبة للنساء اللواتي يمكن أن يحملن تحت عباءاتهن سلاح أو أي وثائق تخص الثورة، بالاضافة إلى تحريضهم على الرجال المسنين من خلال عرضه لصورة شيخ يحمل طاولة تنظيف الأحذية فقام الجنود ببعثرة ما فيها ما أثار سخرية واستهزاء الجنود المجتمعين مع الجنرال ماثيو، بالاضافة إلى حثهم على تسليط أشد أنواع التعذيب ضد الجزائريين المشكوك في أمرهم للحصول على المعلومات الخاصة بقيادة جبهة التحرير الوطني.

10- صور لنا الفيلم النتيجة النهائية للعنف و السياسة الإجرامية التي تجسدت في التعذيب والترهيب ومختلف الخطط الجديدة التي جاء بها الجنيرال ماتيو أهمها اجبار المجاهدين المقبوض عليهم على الاعتراف من شدة التعذيب الوحشي وهو ما حدث مع المجاهد الذي ظهر في بداية الفيلم.

10- صور المخرج وحشية المستعمر الذي كان يطلق النار بعشوائية دون تفرقة بين صغير أو كبير، امرأة أو رجل أثناء انطلاق المظاهرات المناهضة للتواجد الاستعماري في الجزائر و المطالبة بالاستقلال وقد صور لنا المخرج انطلاقة الانتفاضة الشعبية و اعلانها التفافهاحول الثورة كوعي الشعب الجزائري بأن الثورة و السلاح هما الحل الوحيد لاسترجاع السيادة الوطنية.

هوامش البحث:

[1]–عواطف زراري: **صورة المرأة في السينما الجزائرية تحليل نصي سيميولوجي لفيلمي القلعة ونوية نساء جبل شنوة**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، كلية العلوم السياسية و الإعلام، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، ص10.

[2]– محمود إبراقن: **التحليل السيميولوجي للفيلم**، ترجمة أحمد بن مرسلي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،2006، ص14

[3] – نفس المرجع، ص14.

[4]– Roland Barth :.**élément de la sémiologie**, in revue ; communication 04 ,édition seuil, paris ,1964,p133

[5]– Judith lazar **: la science de la communication, collection que sais je** ?2éme édition,dahleb,alger,1993,p44

[6]–محمد عبد الحميد: **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1979، ص179

[7]– نفس المرجع، ص179

[8]– عمار بوحوش و حميد محمود ذنيبات: **مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975، ص39

[9]– كيفين جاكسون، ترجمة علام خضر: **السينما الناطقة**، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، سوريا، 2008، ص 174،175